



تقييم حالة

"قوات سوريا الديمقراطية": النشأة والهوية والمشروع السياسي

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | يناير 2016

"قوات سوريا الديمقراطية": النشأة والهوية والمشروع السياسي

سلسلة: تقييم حالة

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | يناير 2016

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2016

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص.ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

www.dohainstitute.org

ملخص تنفيذي

شهد أواخر العام المنصرم ظهور قوة عسكرية ائتلافية جديدة على الساحة السورية عرّفت نفسها باسم "قوات سوريا الديمقراطية"، ومثلت أهدافها العسكرية ومشاريعها ومواقفها السياسية نقطة توافق مشتركة بين موسكو وواشنطن، الأمر الذي أكسبها زخمًا وفاعلية في مناطق نشاطها في شمال سورية، إلا أنّ توقيت إنشائها والجغرافية التي تشغلها والغايات السياسية التي ترتجيبها، إضافةً إلى تموضعها "في البقعة الرمادية" للصراع، كلّ ذلك يجعل هذه القوات جسمًا إشكاليًا في المشهد السوري العام. تحاول هذه الورقة تتبّع ظروف نشأة هذه القوة وتناول دورها السياسي والعسكري عبر التركيز على غاياتها وشعاراتها السياسية ومدى اتساقها مع سلوكها الميداني، كما تسعى إلى تحديد تموضعها ضمن خريطة الفاعلين المحليين والدوليين.

المحتويات

1	قراءة عامة في النشأة والهوية
3	غايات معلنة
5	مؤشرات التماهي مع المحور الروسي الإيراني
8	المشروع السياسي
11	الخلاصة

قراءة عامة في النشأة والهوية

إنّ قوات سوريا الديمقراطية (SDF)، والتي يشار إليها أيضاً باسم قوات الدفاع الذاتي أو (QSD)، وهي تحالف ميليشيات كردية، وعربية، وسريانية، وأرمنية، وتركمانية، جرى الإعلان عن تأسيسها في العاشر من تشرين الأول / أكتوبر 2015، من خلال مؤتمر صحفي في مدينة المالكية التابعة لمحافظة الحسكة الواقعة شمال شرق سورية، وذلك بالتزامن مع انطلاق مسار فيينا الذي بحث فيه الأطراف الإقليمية والدولية عن أطر عملية سياسية للصراع في سورية وآفاقها، إذ يدلّ هذا التزام على رغبة المجتمعين في المالكية في طرح جسم له بنية وأهداف سياسية وعسكرية تتسجم مع الأجندة الدولية، سواء من حيث الخطاب السياسي الذي تعتمده أو عبر تحديد الإرهاب عدواً أساسياً لها. وبحسب أهدافها المعلنة، تسعى هذه القوات التي تطرح نفسها "قوة عسكرية وطنية موحدة لجميع السوريين" لطرد تنظيم الدولة الإسلامية من محافظة الرقة، ومناطق أخرى من شمال سورية وشرقها¹.

يضمّ هذا التشكيل الناشئ عدة مكونات إشكالية يتفاعل معظمها مع الإدارة الذاتية التي أنشأها حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)، وعصبتها الرئيس هو قوات الحماية الشعبية (YPG) الجناح العسكري لحزب الاتحاد الديمقراطي الذي يعدّه العديد من المراقبين الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني (PKK)، وهو المسؤول عملياً عن قيادة باقي الميليشيات المرتبطة معه تحت المسمّى "الديمقراطي" الجديد، كقوات حماية المرأة التي هي فرع من فروعها، ولها المرجعية الأيديولوجية ذاتها، كما ضمّ هذا التشكيل عدة مكونات²، لعلّ أهمها قوات

¹ "Syrian Democratic Forces set sights on IS stronghold," *Al-Monitor*, 15 December 2015, at: <http://goo.gl/bAb69y>.

² عقب المؤتمر الصحفي الذي أعلن عن تأسيس قوات سوريا الديمقراطية، وقّع 13 فصيلاً عسكرياً الوثيقة التأسيسية المنبثقة عن المؤتمر، وهي: وحدات حماية الشعب الكردية (PYD)، ووحدات حماية المرأة، وجيش الثوار، وقوات الصناديد، والمجلس العسكري السرياني (MFS)، وبركان الفرات، ولواء السلاجفة، وتجمع ألوية الجزيرة، ولواء التحرير، ولواء 99 مشاة، في نهاية تشرين الأول / أكتوبر، كما انضم مجموعة لواء صفور البادية القبلية، وفي 15 تشرين الثاني / نوفمبر، أعلن تجمع كتائب فرات جرابلس، انضمامه لقوات سوريا الديمقراطية. وفي 2 كانون الأول / ديسمبر، انضمت قبيلة الشعيطات، والتي تتخذ من دير الزور مقراً لها، إلى قوات سوريا الديمقراطية، وأرسلت 400 مقاتل إضافي في 6 كانون الثاني / يناير 2016. وفي حلب وإدلب انضمّ إلى قوات سوريا الديمقراطية كتائب شهداء ريف إدلب، ولواء عين جالوت، ولواء آل حمزة، ولواء القعقاع، ولواء أحرار الشمال.

الصناديد. وهي ميليشيات عشائرية يقودها حميدي الدهام، شيخ عشيرة شمر الذي جرت تسميته حاكمًا للجزيرة ضمن مشروع الإدارة الذاتية، والذي جرى الإعلان عنه نهاية عام 2013. ويقدر عدد عناصرها بنحو 500 شخص ينتمون إلى بعض عشائر المنطقة؛ والمجلس العسكري السرياني (التابع لحزب الاتحاد السرياني القريب من العمال الكردستاني)، والذي نشأ في مدينة القامشلي برعاية نظام الأسد في كانون الثاني / يناير 2012، وانضمت إلى الإدارة الذاتية التي أعلنها حزب الاتحاد الديمقراطي، وحدات الحماية في عام 2013، ويقدر عدد مقاتليها بنحو 70 شخصًا؛ وغرفة عمليات بركان الفرات، وهي تتبني شعار الجيش الحر وتضم قوات الحماية الكردية مع فصيل من الرقة برز في معارك تل أبيض، ووجهت لها اتهامات تتعلق بالتستر والتواطؤ في عمليات التهجير التي حدثت إبان إخراج تنظيم الدولة من هذه المنطقة؛ وجيش الثوار الذي يضم بدوره كتائب عديدة منها كتيبة شمس الشمال، وجبهة الأكراد، واللواء 99، ومركز العمليات الخاصة 455، وأحرار الزاوية، وغيرها. ومن العناصر المكونة لهذا التشكيل أيضًا ألوية الجزيرة، وهو تجمع غامض لم يكن معروفًا من قبل، ويبدو أنه إطار يضم عناصر ميليشيا الدفاع الوطني والمغاوير التي أسسها النظام السوري في محافظة الحسكة³. على الرغم من أن تقديرات حجم القوات المكونة من قوات الدفاع الذاتي تتفاوت تفاوتًا كبيرًا، فعددهم الإجمالي، بمن فيهم من عرب ومسيحيين، قد يصل إلى عدة آلاف مقاتل⁴.

تظهر بنية التشكيل الجديد هوية "غير عرقية" على نحوٍ مغاير لهوية بنية الاتحاد الديمقراطي الكردية، وذلك بحكم الضرورة السياسية التي تملئها متطلبات الطرف الراهن للصراع، إذ أن دخوله في ائتلاف عسكري مع مكونات عربية وتركمانية تفتقر إلى العدد والعتاد يحقق أهدافًا عديدة تتمثل بتصدّر الاتحاد الديمقراطي الكردي سلطة القرار في جسم عسكري - سياسي "يعبر عن التنوع العرقي والأثني في سورية"، ويستفيد في الوقت ذاته من الحاجة الماسة إلى التحالف الدولي الباحث عن عنصر بري سوري "معتدل" يقوم بالمهام القتالية الميدانية، ومستغلًا المزاج الدولي المتعارض حول نوعية المعارضة، والتي جرى حصرها بين قوى إسلامية ليست محل توافق وقوى جيش حر لا ترغب موسكو في وجود فاعلية لها في المشهد العام، وبخاصة في حدود سورية

³ مهند الكاطع، "ماهي قوات سوريا الديمقراطية؟"، القدس العربي، 6 تشرين الثاني/نوفمبر 2015، في:

<http://www.alquds.co.uk/?p=430639>

⁴ "Syrian Democratic Forces," *Wikipedia*, at: https://en.wikipedia.org/wiki/Syrian_Democratic_Forces

المفيدة"، إذ يربو هذا التشكيل أن تعزز المدلولات العقائدية والعرقية في بنيته فرص التوافق الدولي حوله، ودخوله بقوة عنصراً مؤثراً في ساحة المشهد السياسي والعسكري السوري. إلا أنّ الادعاء الهوياتي الجامع لمختلف مكونات الشعب السوري يرى الكثيرون أنّ المقصود منه هو تميع العنصر الكردي، ولا تزال سياسات تعامل قوى الثورة السورية معه هي تلك المتبعة مع وحدات حماية الشعب بلباس جديد⁵.

غايات معلنة

انسجاماً مع التعاطي الدولي حيال الأزمة في سورية الذي يعدّها تهديداً أمنياً رئيساً للمنطقة وساحة يتنامى فيها "الإرهاب" ويتمدد، أطلقت قوات سوريا الديمقراطية هدفها الرئيس في محاربة "الإرهاب"، وقاتل تنظيم الدولة، ووقف زحفه وتمدده وملاحقة قياداته وتصفيتهم، واستعادة الأراضي والمدن والأقضية المهمة التي استولى عليها التنظيم، وتوسيع رقعة انتشارهم في الأراضي السورية بدلاً من مقاتلي التنظيم. ويأتي ذلك استمراراً لشراكة التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية مع قوات حماية الشعب الكردية وتعزيزاً للإستراتيجية الجديدة التي اعتمدها الإدارة الأميركية وأجهزتها الاستخبارية والعسكرية، في التصدي للتنظيم وملاحقته، عبر المضيّ في تقديم هذا التشكيل نفسه موضع الدعم والمساندة. من جهة ثانية وتماهياً مع غايات التدخل العسكري الروسي في الأراضي السورية، يقدم هذا التشكيل نفسه شريكاً برياً في العمليات العسكرية الروسية من خلال عضوية حزب الاتحاد الديمقراطي، العضو الرئيس في منطديات موسكو.

إضافةً إلى ذلك يسعى التشكيل الجديد إلى تعزيز مكانته ليغدو عنصراً مهماً وذا تأثير في أيّ تسوية سياسية مقبلة في سورية، من خلال تقديم نفسه بأنّ برنامجه يقوم على أساس إنشاء "نظام سياسي ديمقراطي تعددي

⁵ يرى تشارلز ليستر أنّ المزج بين القبائل العربية والأكراد والمسيحيين ضمن قوات متحالفة يعدّ "تطوراً كبيراً" من الناحية النظرية، لكن الدور الكبير المهمين لوحدات حماية الشعب الكردية على قوات سوريا الديمقراطية، يعطي مسحة يقين أنّ الغالبية الساحقة من المعارضة التقليدية، تعارض وبصورة قوية هذا التحالف، انظر:

Zeina Karam and Bassem Mroue, "U.S.-backed Syrian Democratic Forces emerges as force against ISIS," *thestar.com*, 2/12/2015, at: <http://goo.gl/YSGbqg>.

يكون الحكم فيه لامركزيا" وهو النموذج الذي يسعى المجتمع الدولي إلى إقامته في سورية مستقبلاً. من جهة أخرى، يطرح هذا التنظيم نفسه بوصفه جسمًا عسكريًا ذا مشروع سياسي قوامه العلمانية ومدنية الدولة. وهي عناصر تمثل محلّ خلاف مع الفصائل الإسلامية، وتبرز عوامل التلاقي مع نظام الأسد الذي غاب موقفهم حياله في جميع أهدافهم المعلنة.

فور الإعلان عن التشكيل، قررت واشنطن تقديم أشكال الدعم المختلفة له؛ إذ كشف الكولونيل باتريك رايدر المتحدث باسم قيادة القوات الأميركية في الشرق الأوسط (سنتكوم) في الثاني عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 2015، (أي بعد يومين من إعلان تشكيل قوات سوريا الديمقراطية)، أنّ الولايات المتحدة الأميركية ألقت أسلحة لمقاتلين في شمال شرق سورية للتصدي لتنظيم الدولة، بينما قالت المتحدثة باسم وزارة الدفاع الأميركية الـ"بنتاغون" إليسا سميث بعد ساعات من إعلان تشكيل قوات سوريا الديمقراطية إنّ "عملية دعم للسوريين الذين سيجارون تنظيم الدولة قد بدأت"⁶. ولعلّ أهم مبررات هذا الدعم وفقًا للأميركيين، أنّ وحدات حماية الشعب الكردية المكوّن الأساسي لهذه القوات إلى جانب المكوّن العربي القبلي شرقي سورية المنضم إليها، هما المؤهّلان الأمثل لقتال التنظيم، فبدأ الدعم الأميركي والتحالف الدولي على الأرض من خلال إلقاء شحنات السلاح، وتحديد المواقع الإستراتيجية لتنظيم الدولة، والإسناد الجوي لقوات سوريا الديمقراطية، إضافةً إلى ضرب معازل التنظيم المهمة بالطائرات، وتعدد مستوى دعم هذه القوات حتى وصل إلى إمدادها بالخبراء والاستشاريين الأميركيين، وهم موجودون في مناطق سيطرة هذه القوات⁷. وقد وصلت كمّيّة الدعم المقدّمة من الأسلحة 50 طنًا جرى تسلّمها مع بداية انطلاق دعم قوات سوريا الديمقراطية في تشرين الأول / أكتوبر 2015⁸.

في مقابل الدعم الأميركي الكبير الذي تتلقاه قوات سوريا الديمقراطية، تمثّل أهدافها وممارساتها عاملًا مهددًا لكثير من القوى الثورية التي باتت تصطدم معها في الآونة الأخيرة، كما أنّ مكونات فاعلة كثيرة في شمال شرق

⁶ "Syrian Democratic Forces set sights on IS stronghold".

⁷ وفي مداخلة تلفزيونية له على قناة "الجزيرة" القطرية، أكد طلال سلو المتحدث الرسمي باسم القوات أنّ نحو خمسين خبيرًا عسكريًا واستشاريًا عسكريًا أميركيًا في مناطق سيطرة "جيش سوريا الديمقراطي"، للمزيد راجع: "قوات سوريا الديمقراطية تعترف بالتواجد الأميركي في مناطق سيطرتها"، موقع الدرر الشامية الإلكتروني، 2016/1/12، في: <http://eldorar.com/node/93576>

⁸ "Syrian Democratic Forces set sights on IS stronghold".

سورية قلقة بشأن إنشاء الأكراد مناطق تتمتع بحكم شبه ذاتي يقودها حزب شمولي كالاتحاد الديمقراطي، وقد اتهمت وحدات الحماية بالتطهير العرقي، والهدم الشامل للمنازل في المناطق "العربية السنية" التي يسيطر عليها تنظيم الدولة، بما في ذلك "تل أبيض" الصيف الماضي. وحينها، اتهمت منظمة العفو الدولية هذه الوحدات بارتكاب جرائم حرب في تل أبيض.

مؤشرات التماهي مع المحور الروسي الإيراني

برز الدعم الروسي لقوات سوريا الديمقراطية من خلال عمليات التنسيق المشتركة بين الطيران الروسي ومقاتلي وحدات حماية الشعب "المكون الأساسي لقوات سوريا الديمقراطية" في عدة معارك؛ إذ تفيد حركة الأحداث العسكرية في 8 كانون الأول / ديسمبر 2015 بأنّ مقاتلي "الجبهة الشامية" تصدّوا لهجوم "جيش الثوار" بمساندة من ميليشيا "وحدات الحماية" الكردية تحت راية قوات سوريا الديمقراطية، على قرية "الشوارغة" في ريف حلب الشمالي، بالتزامن مع تحليق مكثف للطيران الروسي. يأتي ذلك بعد نحو عشرة أيام من استعادة "غرفة عمليات مارع" التابعة للجيش السوري الحر السيطرة على قرية الشوارغة، وقبل ذلك بعدة أسابيع وتزامناً مع انشغال كتائب الثوار بالتصدي لمحاولات قوات الأسد والميليشيات الداعمة لها السيطرة على محاور ريف حلب الجنوبي، أقدمت هذه القوات على مهاجمة مواقع لحركة أحرار الشام وبعض فصائل الجيش السوري الحر العاملة في قرى وبلدات في ريف حلب الشمالي، بهدف وصل مناطق سيطرة "الوحدات" الكردية في مدينة عفرين بمدينة إعزاز، وذلك بغطاء جوي من الطيران الروسي أيضاً⁹. وقد سمحت الغارات الروسية في الآونة الأخيرة لـ "قوات سوريا الديمقراطية" (الذي بادرت واشنطن إلى تشكيله) بإحراز تقدّم كبير في عدة مناطق، بحيث سيطرت هذه القوات على ثلاث قرى على الأقل في ريف حلب¹⁰. هذه التطورات، إضافةً إلى تصاعد التوتر التركي الروسي، تعزز احتمال قيام تحالف روسي كردي.

⁹ "من جديد.. قوات سوريا الديمقراطية" تغدر بالثوار في ريف حلب"، موقع أورينت، 2015/12/8، في:

<http://goo.gl/KY2VCh>

¹⁰ "مخاوف أمريكية من قيام تحالف عسكري روسي - كردي في سوريا"، موقع روسيا اليوم، 2016/1/13، في:

<https://goo.gl/ozFSjC>

أمّا على المستوى السياسي، فالعلاقة الجيدة التي تجمع بين حزب الاتحاد الديمقراطي وموسكو، والتي شهدت في شهر تشرين الثاني / نوفمبر من العام المنصرم سلسلة لقاءات مع مسؤولين روس لبحث خطته للإدارة الذاتية في عدة مناطق شمال سورية، والتباحث في سبل إقامة بعثة دبلوماسية في موسكو، أُلقت بظلالها على العلاقة مع قوات سوريا الديمقراطية، خاصة مع تصريحات قادة الاتحاد الديمقراطي المؤيدة للضربات الجوية الروسية في سورية¹¹. وتطالب موسكو بضرورة تمثيل الشق السياسي لهذه القوات في وفد المعارضة المفاوض¹².

لهذه الأسباب كانت معارضة قوات سوريا الديمقراطية مقترحات تركيا في إقامة منطقة آمنة، مفهومة. في المقابل تنظر تركيا إلى حزب الاتحاد الديمقراطي التابع بجذوره التأسيسية لحزب العمال الكردستاني بوصفه مهددًا أمنياً، الأمر الذي انعكس موضوعياً برفض أنقرة تمدد قوات سوريا الديمقراطية في الشمال السوري، وتلويحها باستخدام القوة لمنع ذلك، مستندة إلى الاتفاق مع واشنطن في شهر تموز / يوليو 2015، والذي يطلق يد تركيا في ملاحقة مقاتلي حزب العمال الكردستاني داخل تركيا وخارجها، مقابل سماح أنقرة لمقاتلات واشنطن والتحالف الدولي باستخدام قواعد جوية تركية في ضرب معازل تنظيم الدولة في سورية والعراق¹³.

وتدرك تركيا أنّ أحد أهم أسباب الموقف الروسي الداعم لقوات سوريا الديمقراطية هو إسقاط المقاتلات التركية الطائرة الروسية، وأنّ موسكو ستستخدم هذه القوات ورقة ضغط سياسي وعسكري على أمنها القومي الذي تحاول أنقرة صيانته عبر عمليات عسكرية واسعة تشهدها المحافظات التركية الشرقية والجنوبية.

وفي ما يتعلق بالعلاقة مع طهران وبغداد، فالمتوقع أن تنهج قوات سوريا الديمقراطية النهج نفسه الذي اتّبعه حزب الاتحاد الديمقراطي، وتستفيد من كلّ الاتفاقات التي وقّعها مع بغداد بخصوص خطط تنسيق العمل العسكري مع ميليشيا الحشد الشعبي. كما أكدّ عدة مصادر كردية وجود صلات ولقاءات بين الحزب الكردي السوري وجناحه المسلح مع كلّ من العراق وإيران ونظام الأسد، ما يعني وجود "أجندة مشتركة" تجمع الأطراف

¹¹ "علاقة أكراد سوريا بروسيا تخلق أمريكا وتركيا"، الجزيرة نت، 2015/10/22، في: <http://goo.gl/8rTq3w>

¹² إبراهيم حميدي، "مؤتمر جنيف ينتظر حسم وفد المعارضة... و"القائمة الروسية"، الحياة، 2016/1/14، في:

<http://www.alhayat.com/m/story/13439881>

¹³ بشير عبد الفتاح، "تركيا ومأزق المنطقة الآمنة بسوريا"، الجزيرة نت، 2015/8/30، في: <http://goo.gl/qDUMae>

الثلاثة وتخدم مشاريعهم على حساب إقليم كردستان العراق والمواطنين الكرد في سورية. وأشار مسؤولون في إقليم كردستان العراق إلى محاولة إيران المبكرة إقناع رئيس الإقليم مسعود البرزاني بالموافقة على فتح طريق ترانزيت بين إيران وسورية، وذلك بهدف دعم الأسد بالسلاح والعنصر البشري برًا. لكن الزعيم الكردي رفض المطالب الإيرانية¹⁴.

ويفضل الدعم المشترك (غير المنسق) الأميركي الروسي، لقوات سوريا الديمقراطية، تمكّنت هذه القوات من تحقيق تقدّم ميداني مهم على الأراضي السورية، في وقت قصير نسبيًا؛ فبتاريخ 30 تشرين الأول / أكتوبر 2015 تمكّنت من استعادة جميع المناطق الواقعة تحت سيطرة تنظيم الدولة في ريف محافظة الحسكة الجنوبي، وفي 16 تشرين الثاني / نوفمبر 2015، استطاعت السيطرة على بلدة الهول الواقعة جنوب محافظة الحسكة السوريّة، بعد السيطرة على بحرة الخاتونية في ريف الحسكة، لتتجه الأنظار نحو مدينة الشدادي التي تعدّ أكبر معقل لتنظيم الدولة في المحافظة ويستخدمها في تدريب قوّاته. وبتاريخ 23 كانون الأول / ديسمبر 2015، جرى استعادة جميع المناطق الواقعة في ريف عين العرب الجنوبي شرق نهر الفرات، وانسحاب مقاتلي تنظيم الدولة منها. وبعد ثلاثة أيام، في 26 كانون الأول / ديسمبر 2015، جرت السيطرة على موقع سد تشرين الإستراتيجي ومنشأته، الواقع على نهر الفرات في منطقة (منبج) بريف حلب، بعد مواجهات شديدة مع مقاتلي التنظيم، أدّت إلى انسحابهم وسيطرة القوات المتقدمة على ثمانى قرى رئيسة محيطة بمنطقة السد الذي يحتوي على ستّ وحدات توليد مهمة ورئيسة، تزوّد مدينة حلب بالطاقة الكهربائية¹⁵.

ويبدو أن الهدف من هذه "الانتصارات المتسارعة"، التي جاءت بدعم روسي وأميركي، هو تمكين فصيل عابر لأطراف النزاع من تقديم نموذج لحلّ الأزمة السورية بطرق موضعية؛ إذ يرى البعض أنّه يمكن نقل نموذج الكانتونات ذات الحكم الذاتي إلى أجزاء أخرى من البلاد حيث لا يمثل الأكراد أكثرية، وأنّه بما أنّ أكراد سورية

¹⁴ "صحيفة كردية تكشف علاقة حزب 'PYD' السوري بإيران والأسد"، العربي الجديد، 17 حزيران/يونيو 2015، في:

<http://goo.gl/9RQeJa>

¹⁵ "قوات سورية الديمقراطية: بداية الاستراتيجية الامريكية الجديدة في مواجهة تنظيم الدولة"، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 30 كانون الأول/ديسمبر 2015، في:

<http://rawabetcenter.com/archives/17365>

ليسوا متحالفين مع نظام الأسد وليسوا أعداءه الألدّة أيضاً، فقد يقدّم هذا نموذجاً لتسوية الأمور في سورية. الأمر الذي يُهيئ الساحة أمام توسيع اتفاقات وقف إطلاق النار وزيادة أعداد الإدارات المحلية. ومن شأن هذه الكانتونات أن تبقى اسمياً جزءاً من سورية، لكنّها تتيح للمجتمعات المحلية التمتع بالحكم الذاتي وحماية نفسها¹⁶. وكمؤشر إضافي لتماهي قوات سورية الديمقراطية مع بنك الأهداف الروسية، قامت هذه القوات، بعد أن وصلت إلى مشارف الشدادي جنوب الحسكة "المعقل الأهم لتنظيم الدولة، وصلة الوصل بين الرقة والموصل"، بنقل معاركها باتجاه ريف حلب الشمالي، بغية إفشال ترتيبات مشروع المنطقة الآمنة التي كانت تنوي تركيا إقامتها، من خلال التمدد في المناطق المحررة وإقامة الحواجز فيها، ما أدخلها في مواجهات مع فصائل المعارضة السورية التي تقاوم تنظيم الدولة في المنطقة، واستولت منها على قرى وبلدات عديدة بالقرب من مدينة تل رفعت، في 3 كانون الثاني / يناير 2016، وهي مناطق محررة وتقع تحت إدارة الجيش السوري الحر¹⁷.

المشروع السياسي

في الثامن من كانون الأول / ديسمبر 2015، اختتم مؤتمر سوريا الديمقراطية في مدينة ديربيك/ المالكية في الحسكة، أعماله بالاتفاق على تشكيل "مجلس سوريا الديمقراطية _ مسد" المؤلف من 42 عضواً بالتوافق بين الكتل السياسية والأحزاب والشخصيات المستقلة المشاركة في المؤتمر. وأعلن المؤتمر عن الشخصيات التي ستمثّل المجلس، وهي ممثلة عن كل من تيار "قمح"، ممثلين عن تجمع عهد الكرامة والحقوق، 13 ممثلاً عن أحزاب الإدارة الذاتية الديمقراطية، ثلاثة ممثلين عن كتلة الأحزاب في المرجعية السياسية الكردية، ثلاثة ممثلين عن التحالف الوطني السوري الديمقراطي، ممثلين عن مجالس منطقة الشهباء، ممثل عن التركمان، ممثل عن الآشوريين، ممثل عن السريان، ممثل عن المكون العربي، ممثل عن المكون الإيزيدي، ممثل عن الشباب،

¹⁶ محمد غورسيس، ديفيد رمانو، "الأكراد في دور صناع السلام في الشرق الأوسط"، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 5 كانون الثاني/يناير 2016، في: <http://carnegieendowment.org/sada/?fa=62406&lang=ar>

¹⁷ رامي سويد، "تحالف روسي كردي: غطاء جوي لحماية الشعب" ضد معارضة حلب"، العربي الجديد، العدد 453، السنة الثانية، 2015/11/28، في:

<http://www.alaraby.co.uk/file/get/95bc757d-6a82-47ef-ae5e-c8edb423449f.pdf>

ممثل عن حزب الحداثة الديمقراطي، ممثل عن حزب البعث الديمقراطي الاشتراكي في سوريا، ممثل عن العشائر العربية، ممثل عن العشائر الكردية، ممثل عن جبل العرب، ممثل عن الكتلة الوطنية السورية، إضافةً إلى خمسة مستقلين. واتفق المجتمعون في المؤتمر على العديد من النقاط، أهمها "ضرورة الحل السياسي المفضي إلى مرحلة انتقالية تجري فيها انتخابات حرة نزيهة والتوافق على دستور ديمقراطي يلبي إرادة المجتمع السوري بكافة مكوناته وثقافته ومعتقداته"، إضافةً إلى "تمثيل قوات سوريا الديمقراطية سياسياً والعمل على إنهاء نظام الاستبداد القائم ومحاربة التطرف"¹⁸.

وانتخب المجلس رئيسين مشتركين له، وهما أمين عام تيار "قمح"، هيثم مناع إلى جانب إلهام أحمد، عضو الهيئة التنفيذية في حركة المجتمع الديمقراطي التي يعدّ حزب الاتحاد الديمقراطي أبرز مكوناتها، ليكون المجلس الجديد المظلة السياسية لـ "قوات سوريا الديمقراطية"¹⁹.

تكشف طبيعة التوجّه والمشروع السياسي لهذا الجسم الناشئ بما فيه ذلك رسائله الموجهة إلى الأمم المتحدة والمطالبة بالتمثيل في مسيرة التفاوض، أنّ هدفه الرئيس كان تخريب جهود مؤتمر الرياض لجمع أطراف المعارضة السورية وتوحيدها في 9 كانون الأول / ديسمبر 2015 على رؤية موحدة والخروج بهيئة عليا للتفاوض.

وقد حاول هيثم مناع في ظهوره الإعلامي المتكرر، أن يقدّم نفسه وتياره بوصفه الطرف الأمتثل للتعامل معه والاعتماد عليه في تحقيق مصالح جميع الأطراف الدولية، بما فيها إيران، على أساس أنّ تياره هو الوحيد القادر على حماية الأقلية الشيعية "المهدّدة" في سورية، ما زاد من حجم الدعم الذي تتلقاه قوات سوريا الديمقراطية على الأرض، ومن قدرتها على تقديم نفسها بوصفها طرفاً لا يمكن الاستغناء عنه في المفاوضات المقبلة بخصوص إيجاد تسوية سياسية في سورية.

¹⁸ "مؤتمر ديريك يعلن عن تشكيل مجلس يمثل قوات سوريا الديمقراطية سياسياً"، موقع ارا نيوز، 2015/12/10، في:

<http://goo.gl/czFcsW>

¹⁹ "الحسكة... مناع وأحمد على رأس مجلس سوريا الديمقراطية"، موقع قاسيون نيوز، 2015/12/12، في:

<http://goo.gl/DQLhr7>

لقد عمد مجلس سوريا الديمقراطية إلى زيادة التشابكات التي تواجه الجهود الدولية لإطلاق عملية سياسية في سورية، وذلك في كثرة القوى السياسية التي تسعى للانضمام إلى وفد المعارضة؛ فنظام الأسد يدعم الأحزاب الداخلية المرخص لها (حزب الشعب، وحزب التضامن، وحزب التنمية، وحزب الشباب الوطني للعدالة والتنمية، والتجمع الأهلي الديمقراطي للکرد السوريين، وتيار سلام ومجد سورية، وهيئة العمل الوطني)، في حين تدعم موسكو جبهة التحرير والتغيير برئاسة قدري جميل، وتتوافق مع واشنطن على ضرورة مشاركة تيار قمع برئاسة هيثم مناع، وحزب الاتحاد الديمقراطي برئاسة صالح مسلم، و"قوات سوريا الديمقراطية"²⁰.

وفي حال نجح الروس والأميركيون في إدخال المجلس ضمن وفد المعارضة، فإنّ عقبات كثيرة ستطفو على السطح نتيجة حجم الخلاف بين هذا المكوّن الجديد والهيئة العليا للتفاوض التي تمثل المعارضة في كثير من القضايا. ولعلّ تصريح هيثم مناع الأخير أنّ "مجلس سوريا الديمقراطية لا يريد أن يكون جزءاً من هيئة الرياض المؤلفة من جماعات المعارضة لأنّ بعض عناصر الهيئة تعارض التوصل إلى حل سياسي في سوريا"، يُظهر حجم الخلاف بين الجانبين، ويكشف اللثام عن محاولات فرض حصول مفاوضات متعددة الأطراف.

كما تمثل مسألة الإدارة الذاتية التي يطالب بها المجلس أحد أهمّ عناوين الخلاف مع المعارضة السورية؛ ففي حين يطالب المجلس باعتماد تجربة الإدارة الذاتية، ترفض المعارضة هذا المطلب كونه يخدم رؤية الـ PYD فقط للمسألة الكردية، وتمثّل مسألة الفصائل المسلحة أيضاً إحدى أهمّ نقاط الخلاف؛ إذ يرفض المجلس عدّ "أحرار الشام" و"جيش الإسلام" من مكونات المعارضة "في موقف قريب من موقف روسيا ونظام الأسد". وبالعودة إلى المكونات الأولية التي شكّلت قوات سوريا الديمقراطية، نجد أنّها ليست على عدا مع نظام الأسد، إذ انبثقت في الأصل عن اتفاقيات معه، تضمن مشاركتها في جميع المعارك التي خاضها آنذاك شرقي سورية. فضلاً عن الخلاف حول طبيعة المرحلة الانتقالية وصلاحيات هيئة الحكم الانتقالية، وحول الدستور ومصير الأسد²¹.

²⁰ حسين محمد، "واشنطن وموسكو نحو تذليل العقبات التي تعترض 'جنيف3'"، موقع روسيا اليوم، 2016/1/12، في:

<https://goo.gl/5gqgqx>

²¹ المرجع نفسه.

الخلاصة

ورثت قوات سوريا الديمقراطية بحكم سيطرة حزب الاتحاد الديمقراطي على مشروعها العسكري والسياسي جميع الإشكالات القديمة التي اعترت سلوك حزب الاتحاد الديمقراطي؛ كالعلاقة النفعية المتبادلة مع قوات الأسد وميليشياته الداعمة، وحلمه في توصيل كانتونات الحكم المحلي مع عفرين. وتتمثل الإشكالية الجديدة بالتماهي مع خريطة الأهداف الروسية والإيرانية في المشهد السوري، إضافةً إلى محاولة عرقلة الجهود الرامية لتشكيل وفد المعارضة التفاوضي؛ وذلك عبر التناغم مع أطروحات الروس في ما يتعلق بالمشاركة في الوفد أو تشكيل وفد ثالث، كما أنّ تصدّر تيار قمع الواجهة السياسية لمجلس سوريا الديمقراطية مجسداً في هيثم مناع والعزف على أوتار الديمقراطية، والمواطنة، لن ينجح في إخفاء حقيقة أنّ هدف المجلس الأسمى هو ضمّ الكانتونات الكردية الثلاثة في شمال سورية (الجزيرة، وعين العرب، وعفرين)، واستكمال مشروع الإدارة الذاتية.

مما لا شك فيه أنّ النصف الأول من هذا العام سيلحظ زيادة في مجال نشاط قوات سوريا الديمقراطية، سواء على المستوى العسكري أو على مستوى تفاعلات العملية السياسية، مع احتمال تراجع الدعم الأميركي نسبياً لهذه القوات في مرحلة لاحقة، بسبب الحاجة الأميركية إلى عدم إغضاب الحليف التركي. أمّا الدعم الروسي، فسيستمر ويتصاعد على الأرجح تأكيداً لمحاولاته السابقة في صناعة معارضة للمعارضة السورية تدعم حليفها الأسد في أيّ مفاوضات مقبلة، على حساب المعارضة الأساسية المطالبة بتتحيّ الأسد والانتقال إلى هيئة حكم انتقالي. كما أنّه من المرجح أن يستمر الدعم الإيراني والعراقي لهذه القوات، للتأثير في تركيا، والحدّ من نفوذها في سورية، بوصف هذه القوات وسيطاً وقناة وصل بين النظامين في بغداد ودمشق.